

مَصْرَعُ الْخَلْفَاءِ

مَشَاهِدٌ رَائِعَةٌ نَقَلَهَا عَنْ التَّارِيخِ

بقلم كامل كيلاني

ويادهر لحال الله • ماهنأت فرحانك
• ابو العلا •

(١)

تمهيد

ليس أروع للنفس من تمثل مصارع الناس والاستماع اليهم في ساعاتهم الاخيرة وتعرف ما قالوه — وقت حلول الأجل — وآخر ما نقوهوا به من الكلم قبل أن يفارقوا هذا العالم — خيره وشره — فراقاً أبدياً لا عودة لهم اليه بعده .

واذا كان ذلك هو شعورنا نحو الموت ، فلا جرم أنه يزداد ويتعاضد الى اقصى حد ، حين يقترن بعظمة الملك وأبهة السيطرة والسلطان ، فليس أشجى للنفس من تمثل مصرع خليفة أو قائد كبير أو شاعر عظيم أو أى واحد من اساطين هذا العالم الذين نقشوا في تاريخ الانسانية صفحات لا يمحوها الزمن

ولعل خير ساعة يستعرض فيها المتأمل تاريخ حياة انسان هي ساعة احتضاره فانه ليرى — أمام كل صورة من صور الضعف — صورة أخرى من صور القوة . ويلح بجانب تلك الصور المشجية الحزينة ، ما يقابلها من صور حياتهم البسامة المشرقة .

كامل كيلاني

(١) من كتاب للؤلؤ تحت الطبع وقد عنيت بنشره مكتبة الوفد لصاحبها

محمد محمود بشارع الفلكي بجوار باب اللوق بالقاهرة

مصرع المعتز (١)

« ثم ادخلوه سرادبا وجصصوه عليه فمات ،
« المؤرخون ،

سبب مصرعه

قالوا — :

« ان الاتراك طلبوا منه أرزاقهم فلم يكن عنده مال يعطيهم ، فارسل الى امه
يسألها مالا ، فقالت له — : ما عندي شيء ،

قالوا — :

فاتفق الاتراك والمغاربة والفراعنة على خلع المعتز ، فصاروا الى بابه فقالوا — :

« اخرج الينا ،

فقال — :

« قد شربت أمس دواء ، وقد أفرطت في العمل ، فان كان لابد من الاجتماع فليدخل

بعضكم الى ،

كيف صرع

فدخل اليه جماعة منهم فجروه برجله الى باب الحجره ووضه بوه بالدبابيس وخرقوه
قيصه وأقاموه في الشمس »

(١) هو ابن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن الرشيد ، وكنيته ابو عبد الله
وكان ابيض أسود الشعر ، وقد ولد بسرمن رأى سنة ٢٣٢ هـ . ومكثت خلافته
اربعة سنين وسبعة اشهر الاسبعة ايام وكان عمره اربعا وعشرين سنة وثلاثة
وعشرين يوما . وكان اسم أمه « قبيجة »

قالوا : وكان قد سهاها المتوكل ذلك لحسنها وجمالها كما يسمى الاسود كافور قالوا :
وكان لها أموال عظيمة ببغداد ، وكان لها مطمور تحت الارض نحو الف الف دينار
ووجد لها في سبط قدر مكوك زمرد ، وفي سبط آخر مقدار مكوك لؤلؤ وفي سبط

مقدار كبلجة ياقوت احمر لا يوجد مثله ونبتش ذلك كله !

فكان كما يقول المؤرخون — يرفع رجلا ويطيع أخرى لشدة الحر .
وكان بعضهم يلطمه — وهو يتقى يده ، وأدخلوه حجرة واحضروا القاضي (١)
وجماعة فأشهدوهم على خلعه .

ثم سلموا المعتز الى من يعذبه ، ومنعوه الطعام والشراب ثلاثة أيام
ثم أدخلوه سردابا وجصصوه عليه فمات ودفنوه بسامرا مع المتصر .

(٢) مصرع مروان الجعدي

أو « حمار الجزيرة »

« ولو علم بنو مروان انهم انما يوقدون
على رصف يلقونه في اجوافهم ما فعلوا »
« الوليد الثاني »

كيف صرع

« وطعنه رجل من أهل البصرة ، وهو لا يعرفه فصرعه ، فصاح ، صائح : « صرع
أمير المؤمنين ! » وابتدروه . فسبق اليه رجل من أهل الكوفة — كان يبيع الرمان
فاحتز رأسه ! » « المؤرخون »

(١) وكان اسم القاضي « أبا الشوارب » ،

(٢) هو مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ويلقب بحمار الجزيرة ، ويكنى
أبا عبد الملك ، كانت ولايته ، من حين بويج الى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر
وستة عشر يوما ، وكان قتله يوم الاحد لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ١٣٢ ،
وكانت سنة يوم قتل اثنين وستين عاما — في قول بعض المؤرخين ، وكانت موقعة
« الزاب » المشهورة ، قضاء مبرما عليه وعلى جيشه ، فقد اندحر مروان فيها يوم
السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ١٣٢ ، وقد اقترن مصرعه
بمصرع الدولة الاموية فكان مصرعا مزدوجا ، وسنجل في مقال الشهر التالى
أهم الاسباب التى تضافرت على انجاز هذين المصرعين ، مصرع الدولة الاموية
ومصرع مروان الجعدي ! »

(١) طلائع الثورة

فراخ عامين ، إلا أنها كبرت لما يطرن ، وقد سربلن بالزغب
فان يطرن - ولم يحتل لهن بها - يلهن نيران حرب ، أيما لهب

« نصر بن سيار »

ولكن الفراخ كبرت وطاروت ولم يحتل لها ، فصحت نبوءة « نصر بن سيار »
وألهبت نيران حرب شعواء ، ذكا أوارها واندلع لهيبها ، فكان وقودها مروان الجعدي
والدولة الأموية معاً ، ولم تخمد جذوة هذه النار المستعرة ، إلا بعد أن أتت على الأخضر
واليابس ، وغيرت وجه التاريخ ، وأحدثت انقلاباً هائلاً في كل مرافق الأمة العربية
وشئونها تقريباً !

لقد رأى « نصر بن سيار » خطر المنافسين يتعاظم يوماً بعد يوم ، وشاهد اتباعهم
في ازدياد ، ودعوتهم في ذبوع وانتشار ، فلم يدخر وسعاً في تحذير الأمويين من
أعدائهم واحتاثهم ليقضوا على الثورة وهي في مهدها ، وكان يرى نجاح دعوة
أبي مسلم الخراساني واتساع نطاقها ، فيبعث التحذير بعد التحذير ، والانذار تلوا الانذار
حتى بح صوته وذهبت صيحاته كلها أدراج الرياح !

ولعل أحداً لا يجهل آياته الصادقة التي ختم بها إحدى كتبه التي بعث بها إلى
مروان الجعدي ، حين رأى انتشار الدعوة إلى بني العباس وذبوعها في خراسان
سنة ١٢٩ هـ ، وهي قوله :

أرى خلل الرماد وميض جمر فأحج بأن يكون لها ضرام

فاز النار بالعودين تذكي وإن الحرب ، مبدؤها الكلام

فقلت من التعجب ليت شعري ! أيقاظ أمية ، أم نيام ! ،

ولكن بني أمية كانوا نياماً عن عدائهم ، منهمكين في أشباع شهواتهم الحقيرة
مشتغلين بالانتقام بعضهم من بعض ، لاهم لهم إلا التباغض وإثارة الفتن الداخلية بينهم
حتى جاءهم أمر الله فاحمى ملكهم من المشرق ، وقضى عليهم قضاء مبرماً في سنة ١٣٢ هـ
وصدق قول القائل : ولكل أهل بيت مشائيم ، يغير الله النعمة بهم و . لن ينتقل
سلطان قوم قط إلا في تشيت كلتهم ! ، وصح فيهم قول من قال :

أوتيت ملكاً ، فلم أحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك بخلفه

(٢) موقعة الزاب سنة ١٣٢ هـ

« كل شيء قاتل حين تلقى أجلك ! »

ليس أدل من هذه الموقعة على الفوضى الضاربة أطنابها في جيش الامويين والتخاذل الشامل ، وسوء الرأي ، فقد تجلت في هذه الموقعة صفات النذالة والاحجام في أكثر الجيش الاموي واضحة جلية ، كما تجلى فيها ارتباك مروان وخوره ، وتوانيه في رسم خطة يسير عليها جيشه قبل أن يلتحم في المعركة ، وكان لاحجام قواده ومخالفتهم أوامره أسوأ النتائج وابتعد الاثر في هزيمتهم الشاملة ، أما الوليد بن معاوية بن مروان « صهر « الجعدى » فقد أذكرتنا حماقته وتهوره ، بصهر عثمان رضى الله عنه وما أبداه من خرق في مخالفة رأيه !

لقد أمر « الجعدى » جيشه ألا يبدأ بالقتال ، وقرأه على ذلك ولكن صهره الاحمق « الوليد بن معاوية » بدأ القتال فحمل على الميمنة فاشتبكت الحرب — على رغم الجعدى ، واستعرت لظاها فجأه أيما استعار ، ونفذ قضاء الله وهنا يسرع « مروان الجعدى » — بعد أن نفذ السهم ، فيقول لقضاة : « احملوا ، فيقولون له : « قل لبني عامر فليحملوا ! »

فيرسل الى « السكون » أن احملا ، فيقولون : « قل لغطفان فليحملوا ! » فيقول لصاحب الشرطة : « انزل ! » فيجيبه : والله ما كنت لاجعل نفسى غرضاً ! ، فيقول له الخليفة متوعداً : « أما والله لأسوءنك ،

فيجيبه صاحب الشرطة هازئاً : — « وددت والله أنك قدرت على ذلك ، وثم زاد ارتباك مروان ، وتعاضم خباله ، أمام جيش اخراسانيين ، فكان — كما يقول المؤرخون — لا يدبر شيئاً الا كان فيه الخلل والفساد ، أراد أن يشجع رجال جيشه — وهم يقتلون — فأمر بأموال فأخرجت ، وقال للناس : « اصطبروا وقاتلوا فهذه الاموال لكم ،

فانعكست الآية ، وتهافتت فئة منهم على ذلك المال فجعلت تصيب منه ، فلما قالوا له : « إن الناس قد مالوا عن هذا المال ، ولا تأمنهم أن يذهبوا به ، أراد أن يتدارك هذا الخطأ ، فوقع فيما هو شر منه ، فقد أرسل إلى ابنه « عبدالله » أن

يسير في صحابته إلى مؤخر عسكره فيقتل من أخذ من ذلك المال ويمنعهم!

فإذا كانت النتيجة

رأى الناس «عبدالله» وقدمال برايته وأصحابه، فحسبوه مولين؛ فصاحوا الهزيمة.

فكانت الهزيمة الشاملة!

وبمثل هذه التصرفات العجيبة المربكة الخاطئة، اندحر الجيش الاموى وانهزم

مروان في موقعة «الزباب» شر هزيمة

قالوا: «وقطع الجسر، فكان من غرق يومئذ أكثر ممن قتل

(٣) فرار الخليفة

«كذبتهم أمير المؤمنين لايفر»

قالوا: «وانهزم مروان حتى وصل مدينة الموصل، فزاداهم أهل الشام: هذا

مروان! فقالوا: كذبتهم أمير المؤمنين لايفر

طريق الفرار

ولكن أمير المؤمنين قد فر وأمعن في فراره، فما كاد يستقر بموضع حتى

تداهمه طلائع العدو، فيغادره هارباً إلى موضع آخر

فر إلى «حران» فأقام بها نيفاً وعشرين يوماً، ومضى منهزماً حتى مر بقنسرين

و«عبدالله بن علي» متبع له، ثم هرب «مروان» إلى «حمص» فأقام بها يومين أو ثلاثة

ثم شتخص منها وهو مرعوب منهزم، ومضى حتى مر بدمشق وتركا حتى قدم

«فلسطين» وتابع فراره حتى وصل إلى مصر

(٤) مطار دته في مصر

وجاء كتاب «أبي العباس» يأمر بتوجيه «صالح بن علي» في طلب «مروان» فصار

صالح بن علي في ذى القعدة حتى نزل بالرملة، وسار «صالح» بجيشه حتى نزل ساحل

البحر وتجهز يريد «مروان» الهارب «بالغرماء» حتى نزل صالح «بالعريش» فلما

علم «مروان» بذلك أحرق ما كان حوله من علف وطعام وهرب، قالوا:

ومضى صالح بن علي فنزل النيل، ثم سار حتى نزل الصعيد وبلغه أن خيلاً مروان

بالساحل يحرقون الأعلاف فوجه اليهم قواداً، فأخذوا رجالاً فقدموا بهم على «صالح»

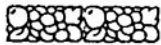
وهو بالفسطاط فعبر مروان، النيل وقطع الجسر و حرق ماحوله ، ومضى « صالح »
 يتبعه ، فالتقى — هو وخيل «ل مروان» على النيل فاقتلوا ، فهزمهم صالح
 وهكذا ظل يطارد «صالح» حتى اهتدى إلى مكانه الذى لجأ إليه فى كنيسة بوصير
 خاتمة مروان — كيف صرع

قالوا : فوافوهم فى آخر الليل ، فهرب الجند ، وخرج اليهم «مروان» فى نفر يسير فأحاطوا به
 قالوا : وطعنه رجل — من أهل البصرة ، وهو لا يعرفه فصرعه
 فصاح صائح : صرع أمير المؤمنين
 وابتدروه فسبق اليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتزر رأسه ٤

*

* *

وهنا يروى لنا بعض المؤرخين ، رواية أقرب إلى القصص والخيال وان
 كانت غير مستحيلة الوقوع فيقول
 إنهم لما أحضروا رأسه قدام صالح بن على أمر أن ينفض فأنقطع لسانه فأخذه هر
 وأرسله صالح إلى السفاح وقال
 قد فتح الله مصر عنوة بكم * وأهلك الفاجر الجعدى إذ ظلمنا
 وذلك مقوله هر يجرره * وكان ربك من ذى الكفر منتقيا
 قالوا ولما وصل الرأس إلى (السفاح) وهو بالكوفة سجد شكرا لله !



الاعتراف (١)

أو أم رتيبة ،

SCOTT'S

ليس حسننا بالرائع ، ولا قوامها بالقوام النادر الفذ ، ولكنها مع ذلك جميلة جذابة ، يتناسق شكلها الاجمالى فى مجموعه فيغطى على ماقد يلححه المتفرس المنتبه من هنات طفيفة فى بعض الاجزاء

عينها وفوها وأنفها ، هى سر كل سحر ، ومصدر كل فتنة ، وهى كافية باشتغال الناظر عن كل ماعداها ، ولصوتها رنة موسيقية تفعم قلب السامع بالسرور وتملاه طربا ونشوة ، ولها ذوق نادر فى اختيار الأزياء ، واهتداء موفق فى انتقاء هندامها قصيرة القامة ، رفيعة الجسم ، جذابة الحديث ، ولكنها غريرة طيبة القلب فارغة العقل ، قابلة للتأثر بما تسمعه ، يسهل استهواؤها ، ولا يتطلب التأثير عليها عناء كبيرا زوجت من مزارع غنى وهى فى السادسة عشرة ومكثت معه نحو عامين ثم مات تاركا لها ثروة متوسطة ، يربو ايرادها السنوى على المائة جنيه

وعن لها أن تترك بلاد الريف لتقيم فى القاهرة ، ثم لم تتردد فى انفاذ هذه الفكرة فاستأجرت شقة أقامت فيها بضعة أشهر ، تعرفت فى خلالها بسيدة فاضلة تسكن المنزل المقابل لبيتها ، ولم يمض زمن طويل حتى توثقت أواصر المودة ، ووصل الحب بينهما الى أقصى حد ، وكان لتلك السيدة أخ وديع لين العريكة ؛ يكره اللجاج ويمقت المغامرة وكانت زوجته عاقرا مكث معها ستة عشر عاما فلم تلد له ، فقطعت نفسه الى الزواج من أخرى ، فلم ترأختها أليق من الست (أم رتيبة) صديقتها المخلصة ، ولا أصلح لأخيها ظلت أخته ترغبه فيها وتصف له محاسنها ، مبالغه له فى سمو اخلاقها ، ووفرة أدبها ، ناعته اياها بكل ما خيله لها اخلاصها وحبها

أقدم أخوها على الزواج منها ، فرأى من جمالها ما بهره وهيمن على قلبه ، وملك عليه له ، ورأت فى زوجها من كرم الاخلاق وجمال العشرة ما حببها فيه ، وقد

عنى بابنتها «رتيبة» التى خلفتها من زوجها الأول عناية الأب بابنته لا الزوج بابنته وزوجه
أقبل السيد «حسن» على الست أم «رتيبة» بكل جوارحه كما أخلصته له ، ولم
تدخر وسعاً فى سبيل السعادة والولاء له ، وقضى معها أسعد الاوقات وأهنأ الساعات
ناسيا زوجه الأولى التى اشتغل قلبه عنها بزوجه الجديد ،

صبرت زوجه الأولى على هجرانه مدة طويلة ، ثم اضناها السقم وبرت بها الآلام
فانهكت جسمها وانتهت بها الى الموت ، فقضت نحبها غير مأسوف عليها من زوجها
وتركت بعدها جواً صافياً ، تطيف به السعادة ولا يكدر صفوه مكدر

عاش السيد «حسن» مع الست (أم رتيبة) عيشة راضية هنية وخلف منها عدة
بنات ، وماتت أخته بعد مدة قصيرة فخلا الجو لها وأصبحت وحدها ربة البيت الآمرة
الناهية المتصرقة بلا شريك واستمر الزوج وزوجه ينعمان بالاخلاص والحب فى
عيشة راضية ، لا يدخل بينهما سوء ، ولا يفرق عليهما إلا جناح السلام سبعة
أعوام كاملة

وفى السنة الثامنة جدت لها مشكلة قضائية دعته الى الاستعانة بالاستاذ «ناشد»
المحامى ، الذى أقامته وكيلا عنها بطريق المصادفة ، على غير معرفة سابقة

أظهر الاستاذ «ناشد» اهتماما بقضيتها ؛ ولم تكد تمر أيام قلائل حتى أكثر
من تردها على مكتبه ، وأكثر من طلبها للحضور عنده

يسألها الزوج : « لم طلبك المحامى ؟

فتقول له :

— قال لى إن الخصم قد انتقل الى مكان مجهول ،

فاذا سألتها فى اليوم التالى ، قالت له : « انه أخبرها أنه لايزال مهتما بالبحث عنه ،

فاذا سألتها فى المرة الثالثة ، اجابته : « انه أخبرها انه سيهتدى الى العثور عليه بعد

زمن قصير

وهكذا من المعاذير التى لا تقنع أحدا ، والتى تخلق الريبة فى نفس سامعها ،

وتدعوه الى الشك فى صحتها لأول وهلة

لقد أحبها المحامي وأحبه ، وزين لها طريق الفساد واستعمل لباقة في التأثير على تلك الغريزة البلاء ، فاهي الانظرة وابتهامة حتى استهواها اليه
انخدعت الفتاة به ، وركنت اليه ، وأصاغت الي كلمات حبه الكاذبة ، فاستسلمت له متفاداة غير مترددة في مطاوعة أمره

وأراد الاستاذ « ناشد » أن يتقن تمثيل الدور فربط أو اصر الصداقة بينه وبين زوجها المسكين ، وتظاهر له بالموددة والاخلاص . فلم يرتب الزوج في حسن نواياه ، وطهارة نفسه ، وشرف مقصده

بدأ بزيارة الزوج في منزله وتناول عنده طعام العشاء ، ثم زاره الزوج مع زوجته في بيته وبعد اسبوع زارتهم أم المحامي وأخته في بيتهم ، وأرت الزوج زوجها أن من الحتم عليها أن ترد لهم الزيارة ، فلم يخالف لها أمراً ، ولا رأى بأساً في زيارتها اياهم

وهكذا اقتنت « أم رتيبة » في خلق الاعذار والتماس الحيل لخروجها من منزلها لزيارة المحامي ، يوماً بعد يوم تتظاهر اليوم بأنها ذاهبة لزيارة احدى صديقاتها . وفي اليوم التالي بأنها ذاهبة لاحدى قريباتها وفي اليوم الثالث لقضاء امرها ، وفي الرابع بأنها تود شراء ملابس جديد ، وهي في كل يوم لا تؤم الا مكتب عشيقها الاستاذ الذي ملك عليها لبها وسمعها وبصرها ، وأنساها واجبات الزوجية المقدسة ، واذهلها عن كل اعتبار آخر ، الا الرضوخ لاوامر عشيقها المخادع ، الذي كان يتظاهر أمامها بأنه يحبها الى حد الجنون . وانه يقدسها . ولا يرى في الوجود ما يضارعهما في الجمال والحسن وكان يتقن تمثيل هذا الدور أمامها فتخدع به مصدقة لان أذنيها لم تتعودا من قبل سماع مثل هذا الثناء ولانها كانت - لسلامة قلبها - تظن ان كل ما يقال صدق . وان مثل هذا المحامي الشاب لا ينطق كذبا ، ولا يقرر إلا حقا

مرضت ابنة السيد « حسن » فزين لهم الاستاذ (ناشد) السفر الى دمياط عند أخيه . وظل يضرب لهم على هذه النغمة كل يوم وأخذت الزوج تلحف على زوجها ضارعة اليه أن يجيب طلبها ملحفة عليه أشد الاخلاف حتى اذعن آخر الامر بتنفيذ رغبتها - رغم ارادته سافر الزوج مع زوجته وبناته الى دمياط واستأجروا كوخا مشرفا على البحر

قريب من اخي المحامي . ولكن لشد ما ادهش الزوج انه رأى الاستاذ ناشد في
التالى قاطنا كوخا على مسافة قريبة منه

قتساءل امام زوجه عن سبب حضور الاستاذ . فأجابته « لعل امرأها ما
استدعاه . على انه ماذا يهمننا حضوره ؟ »

وبعد قليل اقترحت على الزوج ان يأدب للاستاذ مآدبة بمناسبة حضوره . فنفذ اقتراحها
وفى اليوم التالى ادب لهم الاستاذ مآدبة لم يتردد فى حضورها واستمروا على
ذلك عدة ايام يتزاورون ويأكلون ويمرحون كأنهم اسرة واحدة . وقد تجبب
المحامى الى الزوج . وتصنع له الولاء والاخلاص الكاذب وكثيرا ما دارت الكؤوس
والاقداح وتمل الزوج والمحامى

الزوج غريرة ، والزوج طيب القلب ، والمحامى لبق ظريف ولكن لكل شىء
حد ، وللرياء ثوب شفاف مهلهل ، فقد كانت تبدر من المحامى حركات طائشة فى
بعض الاحايين ، وكانت تلوح منه غمزات واشارات ذات مغزى خاص ، يأتيها بلا
احتراس ، فلم يلبث الزوج أن داخلته الريبة فى أمر زوجه وصديقه
يشمل المحامى فبداعب « رتيبة » مداعبة تثير الشكوك ، يقبلها ويدخل بها فى
الحجرة الثانية ، ويخلو بها وقتاً ما ، ثم يضمها الى صدره متظاهرا بانها كابنته على
مرأى ومسمع من الزوج وزوجه ، وكانت رتيبة قد بلغت الرابعة عشرة ، ولكن
الاستاذ أبى إلا ان يعدها طفلة صغيرة . تقبل وتعانق وتضم الى الصدر بلا حرج ولا
مبالاة

فاذا امتعض الزوج الساذج من هذا العمل هونت عليه زوجه الامر ونفت له
سوء نية الاستاذ . مؤكدة له أنه طاهر الذيل نقى الذمة . بعيد عن الدنس . فيسكت
الزوج المسكين على مضض

وفى ذات يوم قامت (أم رتيبة) مبكرة من نومها قبل أن يستيقظ زوجها
فأوصت الخادم أن تخبر سيدها — اذا استيقظ — انها ذاهبة الى السوق لشراء دجاجات

وأطلعته على حقيقة أمرها هامة في أذننا انها ذاهبة الى حيث يقيم المحامى .
وسألته ان لاتأنيها حتى تنتهى من غسل الملابس وانهاء اعمال المنزل الكثيرة
التي يستغرق عملها وقتا طويلا من النهار مؤكدة عليها ان تكتم عن زوجها خبر ذهابها الى المحامى
خرجت الزوج مبكرة الى المحامى وقضت معه ساعة ناعمة مغتبطة . ولما قام الزوج
نادى زوجه فلم تجبه . فسأل الخادم عن مكانها . فلم تكذبه القول . ولا كتمت عنه
حرفا واحدا مما قاله لها سيدتها

ارسل الخادم لتجسس له . فما وصلت المنزل حتى علمت أن سيدتها جالسة مع
عشيقتها فى مخدع نومه . فنقرت على الباب . فسألته الزوج :

— هل انتهيت عملك

— نعم

— كف انتهيت بهذه السرعة

— لا أعلم !

— هل صحا سيدك

— لا

المحامى — حذار ان تخبريه انها عندي

— لن اخبره بذلك

المحامى — هى ! هى ! يلعن ابوك !

* * *

جاء الزوج فرأى زوجه واقفة فى النافذة تصلح ما أفسده المزاح والعبث من
شعرها ، فاهتاج ولكنه سكن من نفسه الثائرة قليلا
سألها غاضبا أن تعود الى منزلها فاستعطفته أن يمكث معها فى منزل المحامى ريثما
يشرب القهوة فأبى البقاء وحتم عليها مغادرة ذلك المكان ، فاطاعته ، وعادت
معه الى الكوخ

حاول الزوج أن يقنعها بالسفر معه الى القاهرة فأبت ، فأظهر لها غضبه وسخط
من مزاح الاستاذ مع ابنتها (رتيبة) فأجابته منفعة :
(ذلك أمر يعينى ولا يعينك ، فأنا أمها المتصرفة فى أمورنا وليس لك فيمشان)

وقامت بينهما لجاجة وخصام ، وثار ثائر الزوج الحليم ، فكسر الاطباق وحطم
الاولانى وأصبح فى حال من الغضب انسته كل شىء .

— لا بد من السفر معى فى الحال

— كلا لن اسافر معك

— هل تجرئين على ذلك

— ولم لا

— إذن اتركك

— فى الف داهية

أخذ معه بناته الصغيرات مصمما على السفر الى القاهرة ، ولم يكد يصل الى
المحطة . سائلا عن موعد سفر القطار الى القاهرة حتى علم أنه يقوم بعد ساعتين
ونصف ساعة

لبث مدة مع بناته الصغيرات يداعبن بقلب مكلوم حزين حتى اذا لم يبق على
موعد سفر القطار الا ساعة واحدة خرج لياتهن بطعام فقابله عربى شهيم من أصدقائه
القدماء . فعلم منه القصة بخدافيرها . فرثى لحاله . وأقسم عليه ليأخذنها معه رغم
انف عشيقها وما زال به حتى اضطره الى العودة اليها مع بناته وذهبوا جميعا الى
الكوخ . ولما رأت الزوج تصميم العربى على مساعدة زوجها التفتت اليه مغضبة :

— ماذا تريد يا شيخ احمد

— اريد أن تسافى مع زوجك

— وماذا يهمك من أمرى

— يهمنى أنه صديقى الوفى .

— هون عليك . فقد اتهمك من قبل بأنك كنت تغالبنى .

لم يكد العربى الشهم يسمع من فيها هذه التهمة الكاذبة حتى استعاذ بالله من سوء
ظن الزوج . وفترت همته فى مساعدته

وفى اليوم التالى بحثا عنها فى دمياط فلم يجدها . لقد هربت الى اين ، لا يعرفان
سألا عنها المحامى فظاهر بأنه لا يعلم مقرها ، كأنه لم يدبر لها خطة الهرب .

واصل الزوج البحث حتى علم انها ذهبت الى اهلها في الريف فاسرع بالسفر اليها . فوجدها عند عمها . فسأله الاخير عن سبب سفرها . فلم يستطع الافضاء اليه بالحقيقة كاملة . ولكنه لمح له بطرف منها واخبره انها كثيرا ماتسمح لابنتها رتبة بالمزاح مع المحامى

فوبخها عمها على ذلك وارغمها على السفر معه
وبعد لائى ماسافرت معه الى القاهرة

* * *

عاد الزوج وزوجه الى القاهرة فوجد المحامى قد سبقهما الى العودة ومضى الاسبوع الاول بسلام

واحتاج الزوج يوماً الى من يقرأ له عقداً مكتوباً بالفرنسية ويترجم فواه ، فعثر في طريقه بكتاب عاطل كان يعمل في مكتب الاستاذناشد ثم طرد منه منذ أيام قلائل ، فطلب اليه الزوج أن يترجم له العقد فسأله : —

— « ولم لم تذهب الى الاستاذ ناشد ليترجمه لك ؟ »

— « لقد قاطعته نهائياً فقد كاد يخرب بيتى ويفسد على امرأتى ، »

— « لقد طالما ترددت فى اخبارك بتهتك هذا الاستاذ الخليع ، ولكننى خشيت أن لاتصدقنى ، »

— « ليتك فعلت ، »

— « ولكن ألم تلاحظ على زوجك شيئاً حين كانت تعود متأخرة من مكتب المحامى ؟ »

— « لم ألاحظ شيئاً سوى أنها كانت تغيب أحياناً الى ساعة متأخرة من الليل »

— « ألم تلاحظ عليها أنها كانت تعود ثملة ! ... »

— « ثم ... لة . ثم ... لة . رباه . أحق ذلك ؟ أتجد ؟ أكانت تسكر معه ؟ »

لا أعلم ، لا أعلم ، لا . لا . لا . لعل أخطأت القول ، آه . لقد قادتني السرعة

وعدم الاحتراس الى قول ما لا ينبغي قوله

* * *

عاد الزوج ناثراً النفس الى بيته ، ولم ينبس ببنت شفة ، وانتهر الكاتب

المطروء هذه الفرصة . فذهب الى مكتب استاذہ متملقا . وانبأه أنه قابل الزوج .
وانه سبه وطعن عليه متهما اياه بمحاولته افساد زوجه . ولكنه دافع عنه امامه
دفاعا مجيدا .

غضب الاستاذ المحامى من وقاحة الزوج وقلة ادبه . كيف يجرؤ على مس شرفه
كيف يتهمه بافساد زوجه . الى الانتقام اذن الى الانتقام اذن من ذلك الزوج الوقح
نعم فان من ينتهك حرمة الزواج المقدسة . ويتخذ من الواجب وسيلة للافساد
والاغواء . ومن الصداقة سيلا الى تدنيس اقدس رابطة انسانية . جدير ان يغضب
إذا بلغه ان مثل ذلك الزوج الحليم قد دفعه الألم الى التفوه بكلمة تشعر بارتياحه من
ذلك القانونى البارع !

وكم فى الحياة من غرائب ومدهشات !

غضب الاستاذ وبعث رسولا الى « رتية » يحثها الى الذهاب اليه فى الحال ،
فلبى الرسول الأمر . وبلغها اياه — وكانت جالسة مع زوجها — فغضب الزوج من
هذا الطلب الحثيث المشوب بلهجة الأمر المتصرف ، وأمر الزوج ان لا تخرج فأبت
فكرر عليها الامر ، فلم تدعن ، فمكث فى المنزل لينعما من الخروج فتظاهرت بعد
قليل بالعدول عنه حتى اذا اطمأن الزوج الى بقائها فى المنزل ، ذهب الى عمله ، ولم
يكذب يخرج حتى أسرع الى مكتب المحامى الذى نفث فيها سحره . وزين لها
طريق الغى . واختط لها سبيل الفرار من ذلك الزوج

عادت الى منزلها متشعبة بنصح المحامى . وقضت مع زوجها ليلة صاخبة . ثم قامت
صائحة فى منتصف الليل منادية الخفير لينقذها من زوجها الذى يريد قتلها بخنجره . صعد
الناس فوجدوا الزوج يستيقظ من نومه مذعورا ووجدوا الخنجر فى يدها فوبخوها
بلطف على ذلك التجنى الجرى . وفى الصباح هربت مع ابنتها الى حيث لا يعلم الزوج

واصل الزوج البحث عنها شهرا فلم يهتد الي مكانها . توسل الى المحامى أن يرشده
الى طريقها . فسبه المحامى ولعنه وطرده طردا ، عاد الزوج الى منزله مكتئبا حزينا
ولكنه لم يئأس . بل واصل البحث متنسما الاخبار . يسمع انها فى شبرا . فيذهب منقبا

باحثاً بلأجدوى . ثم يسمع انها في العباسية . وأخرى انها في حى القلعة وثالثة انها في حى مصر القديمة . ورابعة انها في الظاهر . وهكذا ظل يدأب نحو ثلاثة اشهر من غير أن يصل الى نتيجة مجدية !

وفي ذات يوم قابله خباز منزله — وكان عارفاً بالقصة متأثراً بوقائعها — وبينما هما سائران اذ ملح الزوج المحامى سائراً في الطريق . فلقت اليه الخباز . وسأله أن يتبع سيره متخفياً . ففعل حتى اذا وصل الى محطة حلوان التفت الاستاذ يمينه ويسرة فلم يجد احداً يتعقبه فقطع تذكرة في الدرجة الاولى وقطع الزوج والخباز تذكرتين في الدرجة الثالثة . فلما وصل المحامى الى حلوان نزل ونزل الخباز والزوج يتعقبانه وخشى الزوج أن تحين من المحامى التفاته اليه فيفسد عليهما التدير ، وثم جلس في حانوت جزار يعرفه ويخلد اليه بالثقة

أما الفران فسار متبعاً المحامى مدة طويلة حتى اذا قرب المحامى من منزله ، التفت يمينه ويسرة فلم يجد سوى الخباز ، فداخلته الريبة في أمره ولكن الخباز لم يدع الريبة تثبت في نفسه ، فأسرع ينادى — :
« يا أولاد الحلال ، بنت اسمها عزيزة ، وولد اسمه على ... الخ ،

اطمان المحامى ودخل المنزل فعرّفه الفران ، وأسرع غائداً الى الزوج والجزار وأخبرهم بمكان المحامى والزوج الخائنة فأطبقوا جميعاً عليهم واستاقوهم الى القسم ، حيث لقي الاستاذ والزوج جزاءهما العادل .



اطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

ماتخ الفكر العربى

فى نسوة و تطوره بالترجمة والنقل عن المفسرة اليونانية